لما يكون الإعلام لسان عقيدته

دراسة دعوية وإعلامية لكتاب :" رسالة الشرك ومظاهره"

للأستاذ الشيخ :" محمد مبارك الميلي"

د/ مفيدة بلهامل جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة

كتاب "رسالة الشرك ومظاهره " مساهمة هامة تضاف إلى جهود علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإحاطة بميدان التنظير للمذهبية الدينية للإصلاح الذي كانت تقوده في الجزائر ,وهو في الجانب العقدي منها تحديدا ويتأسس على المنهج الدعوي والإعلامي الذي اتفق علماء الجمعية على اتباعه والنشاط في اطاره كل في مجاله ,,,,وقد بدأ الأستاذ الشيخ "مبارك الهلالي الميلي"كتابة مقالات صحفية عن مظاهر الفساد العقدي والشرك بالله التي كانت متفشية في المجتمع الجزائري كنتيجة لسياسة التجهيل بالاسلام وتعاليمه التي مارستها فرنسا الاحتلال منذ أن وطأت أرض الجزائر ,ولم تمر فترة طويلة على بداية ظهورها على صفحات جريدة "البصائر"حتى وجدت لها من النجاح والصدى الكبير عند القراء الذين سارعوا إلى مراسلة الجريدة وطلبوا من صاحبها ومن إدارة" البصائر" بإعادة نشرها في كتاب مستقل؛ فرحب العلماء برغبة القراء , ولّبى الشيخ" مبارك "رغبة قرائه وعاد إلى مادته العقدية بالتهذيب والتبويب والتوثيق مع إضافة فصول عديدة ثم جمعها في كتاب عنونه بـ: "رسالة الشرك ومظاهره" ,,,

أولا– لماذا رسالة الشرك ومظاهره ؟

–أداء الواجب الإسلامي في حفظ التوحيد في الجزائر:

–مقارعة أهل البدع من الطرقية الضالّة المضللة:

–استكمال أركان التجدبد الإسلامي للإصلاح السلفي لجمعية العلماء في الجزائر:

–الرد التطبيقي والواقعي على سياسة التجهيل بالإسلام عبر استغلال رجاله والتضليل بعامته:

ثانيا – ما هي المضامين التي ركّز عليها صاحبها فيها ؟

ثالثا – كيف نقرؤها دعويا ؟

رابعا – كيف نقرؤها إعلاميا ؟

خامسا – ما مدى تأثيرها في جمهورها في جزائر 1936 ؟,,,,

يعد كتاب" رسالة لشرك ومظاهره "مساهمة هامة تضاف إلى جهود علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإحاطة بميدان التنظير للمذهبية الدينية للإصلاح السلفي الذي كانت تقوده في الجزائر. وقد بدأ "مبارك الميلي" نشرها في شكل مقالات صحفية على صفحات جريدة البصائر منذ 1936م ،ودفع نجاحها بين القراء أن طلب هؤلاء من صاحبها ومن إدارة الجريدة بإعادة نشرها وطبعها في كتاب مستقل،ولبّى الكاتب رغبة قرائه وعاد إلى مادته بالتهذيب والتبويب والتوثيق مع إضافة فصول عديدة ثم جمعها في كتاب " رسالة الشرك ومظاهره"الذي تم طبعه بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة في 1937 م[1]

1- لم تتحصل الباحثة على الطبعة الاولى "لرسالة الشرك ومظاهره " حتى تستوفي بطاقته الفنية الاصلية. أما الطبعة الثانية فهي تقع في 304 صفحة متضمنة فهرص المراجع (مواد الرسالة) وفهرس الموضوعات، مع مقدمة الكاتب، وتقرير جمعية العلماء للرسالة(ص5-8)

,وكانت هذه الطبعة الأولى تلتها الطبعة الثانية التي نشرت بعد استرجاع الاستقلال الوطني وذلك سنة 1966 م وهي التي تم الاعتماد عليها في هذه المداخلة.

أولا – لماذا " رسا لة الشرك ومظاهره" ؟:

-أداء الواجب الإسلامي في حفظ التوحيد في الجزائر:

يقف الكاتب طويلا لتقديم مبرراته للكتابة في هذا الموضوع بالذات في عدة فقرات ذات جمل تقريرية منطقية ومتسلسلة، تقرر كل منها حقيقة معينة تكون تبريرا لتقرير الحقيقة التالية لها. فبعد أن يقرر أن :

حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا،

إن الشرك مرض طارئ على الأمم كما تطرأ الأسقام على الأجسام، وأنه يلحق بالإنسان نتيجة لنوم البصائر الموجب لشقاء الأرواح.

ويقول: وإذا كان حفظ الصحة بالغذاء والدواء فان حفظ التوحيد بالعلم والدعوة، ولا يحفظ التوحيد علم كعلم الكتاب والسنة، ولا تجلي الشرك دعوة كالدعوة بأسلوبهما[1]

فرسالة الشرك إذا مجهود علمي وأسلوب دعوي لحفظ التوحيد في الجزائر من مظاهر الشرك التي أحاطت به كنتيجة حتمية لموت بصائر الجزائريين ودليله شهادة واقعهم الشقي. وأنَّ أوَّل ما أعتمد عليه كاتب هذه الرسالة هو الكتاب والسنة وأسلوبهما في بيان الشرك وإجلاء مظاهره.

ويؤكد الكاتب أن إهمال الدعوة للكتاب والسنة هو الذي أدى إلى جهل جمهور المسلمين بعقائد الإسلام حتى خفي عنهم ما ينافيها بطول الوقت فانتشرت بينهم العقائد

1- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مصدر سابق ،ص 13

الزائفة والبدع الفاسدة مكان العقائد الصحية فاستغلها بعضهم في السطو على العلماء العارفين وإنكارهم عليهم تذكيرهم للمسلمين بالدين الحق

واقتضت حكمة الله أن يخص الإسلام بالرعاية بحفظ كتابه لقوله تعالى: >> إنا نحن الذكر وإنا له لحافظون[1]<< ثم بقيام علماء ربانيين على تبليغه لقول صلى الله عليه وسلم: >> إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها[2] <<. وهؤلاء هم المجددون الذين حبا الله بهم الجزائر بمن تجتمع فيهم صفاتهم من أخلاق وهمم وعلم. وقد ظهروا منذ 1343 هـ وهي من أوائل المائة الرابعة عشرة بعد عصري النبوة والخلافة والذين واجهتهم حملة من الجهلة بالدين – حفاظا على مصالحهم المادية الخاصة –.شاركوا المستعمر الفرنسي في امتهان كرامة الجزائريين وابتزازهم.. وما هؤلاء إلا علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي وراء هذه الرسالة تشجيعا وتمهيدا عبر صفحات جرائدها[3].

-مقارعة أهل البدع من الطرقية الضالّة المضللة:

لقد بنت جمعية العلماء منذ بدأت فكرة في عقول أصحابها وبعد ظهورها أهم جزء من قاعدة نشاطها في الوطن الجزائري على محاربة الطرقية الضالة المضللة بعد أن عمّ فسادها وإفسادها وطال زمانه بنشر البدع والدجل والمنكرات. وقد ناصب رجالها علماء الجمعية العداء حتى قبل ظهورها وبعد تأسيسها مما تطلب من " ابن باديس"وإخوانه في جمعية

1: الحجر.9

2: رواه أبو داوود: والحاكم والبيهقي وغيرهم باسناد صحيح: وأخرجه أو داود في كتاب الملاحم: باب ما يذكرفي فرن النائة. انظر أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني: سنن أبي داود: تعليق: الشيخ أحمد سعد علي،(مصر ،مطبعة مصطفى البابي 1953 م)ج2، ص 424

3: مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، لمصدر السابق ،ص14-15 بتصرف.

العلماء بالعمل الحاسم لنصرة السنة وإماتة البدعة وكان رأي "بن باديس "بلزوم >> أخذ المبطلين مغافصة والهجوم عليهم وهم غارون وإسماع العامة المغرورة صوت الحق فصيحا غير مجمجم[1] <<. وكانت "رسالة الشرك ومظاهره" ل"محمد مبارك الميلي"هذا الصوت وتلك الحجة ,وذلك البيان وعلق "الإبراهيمي" بقوله: >> ويرتكز هذا الرأي على أن هذه البدع والمنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حربا عليها هي أمور قد طال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد وشب عليه الولد. وهي بعد شديدة الاتصال بمصالح ألفها الرؤساء حتى اعتبروها حقوقا لهم، وأنس بها العامة حتى اعتقدوها فروضا عليهم، فلا مطمع في زوالها إلا بصيحة مخيفة، تزلزل أركانها، ورجة عنيفة تصدع بنيانها، وإعصار شديد يكشف الستر عن هذا الشئ الملفف، والسر الذي يأبى أن يكتشف، ليتبينه الناس على حقيقته وأقل ما يكون من التأثير لهذا العمل أن يضعف هيبتهم في نفوسهم وتضؤل رهبته في صدورهم، وهناك يسهل العمل في نقضه، وتخف المؤونة في هدمه[2] <<

ورسالة الشرك ومظاهره بهذا الاعتبار، تعد وجه آخر من وجوه نشاط جمعية العلماء العلمي والديني، الذي يهدف إلى محاربة الجمود في الجزائريين والاجتهاد في بعثهم من جديد مع التأكيد دائما على أنها ركزت في ذلك على دعوة الجزائريين إلى الرجوع إلى عقائد الإسلام الصحيحة بكشف العقائد الزائفة منها والبدع الفاسدة، ثم أنها توسلت لذلك أسلوب القرآن والسنة وهو ما يضمن لها النجاح في دعوتها. ثم إن رسالة الشرك موجهة في الأساس لمحاربة الطرقية في الجزائر وهي الطائفة الوحيدة في الجزائر التي ترفض دعوة الجمعية وهو ما أشار إليه تقرير جمعية العلماء للرسالة بالقول >> نستطيع أن نقول ولا نخشى

1: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق ص 50

2: المصدر نفسه، ص 50-51

مفندا أنه لم يرفض دعوة الجمعية إلا طوائف معلومة في الجزائر يضر بها العمل بالدين الحق، ويهد بنيانها القائم على أساس العوائد التي ظهرت في المسلمين في العصور التي بلى فيها العالم الإسلامي بزعماء جهلاء اغتصبوا هذه الزعامة من غير كفاءة علمية ولا هداية إسلامية[1] <<.

-استكمال أركان التجدبد الإسلامي للإصلاح السلفي بقيادة جمعية العلماء في الجزائر:

يأخذ مفهوم التجديد من المعاني ما يشمل التذكير بهدي السنة وإحياء الممارسات الدينية ومحاولة إعادة تشكيل العقيدة عبر طريقة جديدة في تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي ,ثم محاولة إصلاح جوانب الانحراف الناجمة عن الجهل أو فساد الشعور الديني باتباع وسائل الوعظ والإقناع بالرجوع إلى النماذج التي ذكرها القرآن الكريم ودفع الناس إلى العمل بها والسير وفق تعاليمها. وإذا كان الإمام "عبد الحميد ابن باديس"قد كفى حركة الإصلاح والتجديد الإسلامي في جانب تفسير القرآن الكريم بشكل لم يسبقه إليه في الجزائر في عصره أحد وذلك درسا وتأليفا ونشرا عبر صفحات جرائد "جمعية العلماء"ثم عبر كتاب " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير[2] " من جهة وفي جانب شرح الحديث النبوي درسا وتأليفا ونشرا كذلك وذلك عبر كتاب "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"[3] يأتي مؤلف" محمد مبارك الميلي "ليكمل أركان التجديد الإسلامي للحركة

1: رسالة الشرك ومظاهره، ص6

عبد الحميد بن باديس ,مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ,الجزائر , مطبوعات وزارة الشؤون الدينية -2 1982,

عبد الحميد بن باديس , مجالس التذكير من كلام البشير النذير , الجزائر , مطبوعات وزارة الشؤون الدينية -3 1983,

الإصلاحية السلفية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر وذلك في جانب العقيدة وعبر كتاب "رسالة الشرك ومظاهره "باتباع أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية

وبهذا تكون "رسالة الشرك ومظاهره" للشيخ " مبارك الميلي "ترجمة علمية لجهود جمعية العلماء في محاربة البدع وكشف حقيقة شيوخ الزوايا التي كانت تجثم على صدر الجزائريين تبتز أموالهم وتمتهن كرامتهم، والأخطر من ذلك تستغل جهلهم وعاطفتهم الدينية السليمة لإيقاعهم في الشرك بالله تعالى بتكريس ممارسات ظاهرها العبادة وباطنها الشرك بالله، فبيان حقيقة الإسلام بشعائره النقية وعباداته الصحيحة، بالاستدلال بآيات القرآن العظيم، وما صح من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بنماذج من شخصياته الفذة معالجة للجزائريين بالدواء الصحيح الذي هم في أمس الحاجة إليه وهو إعادتهم إلى إسلامهم الصحيح بوسائل الإسلام نفسه، فكانت هذه الخطوة هي الأساس الذي يبنى عليه للخطوات التالية.

ولذلك فقد صدرت " رسالة الشرك ومظاهره" بتقرير جمعية العلماء الذي يضفي عليها رسمية المهمة العلمية التي تصدى لها "مبارك الميلي " من جهة ومن جهة أخرى بيان العلماء للجزائريين عن قيام علماء الجمعية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خدمة للدين الصحيح وعدم التواطؤ على السكوت على المنكر ومن ثمة دعوة لجميع الجزائريين إلى الاقتداء بالعلماء في هذا المجال تمهيدا لأمر أعظم يخص مصيرهم ومستقبلهم.

وقد جاء في تقرير الجمعية للرسالة تحت عنوان: "المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرر أن ما اشتملت عليه " رسالة الشرك ومظاهره" لمؤلفها الأستاذ "مبارك الميلي" هو عين السنة، وأن هذه الرسالة تعد من الكتب المؤلفة في نشر السنة وردع البدع، فان الدعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في العالم الإسلامي عامة وتقوم بها

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القطر الجزائري خاصة، تتلخص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم والسير على منهاج سلفهم الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية والاعتقادية والعملية وتطبيق ماهم عليه اليوم من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السلف الصالح. فما وافقه عددناه من دين الله فعملنا به واعتبرنا القائم به قائما بدين الله، وما لم يكن معروفا في عهد الصحابة عددناه ليس من دين الله ولا علينا فيمن أحدثه أو عمل به فالدين حجة على كل أحد، وليس عمل أحد حجة على الدين[1].

وإذا بلغت هذه الدعوة الصالحة وانتشرت، وقبلها المسلمون وعدوها نعمة من الله عليهم، كان تأليف رسالة جامعة لأهم النقط التي يدخل منها ليل البدع على نور السنن من أوجب الواجبات على حملة السنن وعلى أعضاء جمعية العلماء إذ دعاة الإصلاح اليوم في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع جامعة لأدلة هذه المسائل ناقلة للآيات والأحاديث في كل نقطة من النقط التي تتناولها الرسالة المقترحة المرغوب في تأليفها لتكون حجة للمستيقنين وهداية للمسترشدين وسيفا مصلتا على أعداء السنن المعروفين في الجزائر من المتعيشين بهذه البدع والعوائد الضالة.

وان الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائر، "مبارك الميلي " بجمعه "رسالة الشرك ومظاهره" خدم بها الإسلام ونصر بها السنة وقاوم بها العوائد الضالة والخرافات المفسدة للعقول.و قد عرض هذه الرسالة على مجلس إدارة الجمعية >> فتصفحها واستقصى مسائلها، فإذا هي رسالة تعد في أولويات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع تقر بها عين السنة والسنيين وتنشرح لها صدور المؤمنين.

1: رسالة الشرك ومظاهره، ص 5-6 بتصرف

وأن المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرر بإجماع أعضائه أحقية ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة ويوافق مؤلفها على ما فيها ويدعو إلى دراستها والعمل بما فيها فانه العمل بالدين[1] >>

الرد التطبيقي والواقعي على سياسة التجهيل بالإسلام عبر استغلال رجاله والتضليل بعامته:

ركزت سلطات الاحتلال الفرنسي في إطار حربها المعلنة والخفية للاسلام في الجزائر بالإضافة إلى مناهج التجهيل, وكنائس التنصير ,وحملات التيئيس,وآلة حرب تبيد وتحرق البلاد والعباد... ركزت على رجا ل الطرقية الظالين والمظللين ليكونوا مطية لتخدير عقول الجماهير الجزائرية وذلك بتحويلهم إلى أداة تهيئ الغطاء الإيديولوجي لعمليات الظلم والإفتئات على كرامة الإنسان ,وحقه في الحياة وتقرير المصير.

وقد انجرف عدد من العلماء وكثير من أصحاب الأهواء والبدع في هذا التيار طمعا في منافع دنيوية عاجلة فارتبطوا بالمؤسسات الاستعمارية وعملوا بقصد أو بغير قصد كما عملوا بوعي أو بغير وعي لكن بتوجيه مدروس دوما من إدارة الاحتلال على تخدير الجزائريين وإحباطهم حتى تصبح الممارسة الدينية على الصعيد الاجتماعي مفرغة من أي مضمون روحي يذكر بالله ويربط بالانتماء ويشد العزائم والذمم حول المصير وعلى عكس ذلك فهو يعرقل كل محاولة جادة للنهوض به وتغييره لصالح الشعب الجزائري المسلم.

وجاءت "رسالة الشرك ومظاهره " لتحقق الهدف المزدوج إزاء غلاة المستعمرين والغاشين لدينهم وإخوانهم من جهة في مقاومتهم والحد من تأثيرهم وآثارهم والحيلولة دون

1: المصدر نفسه، ص 7-8 بتصرف

الوصول بأساليبهم وبدعهم إلى نهاياتها وإزاء علماء الاسلام والسنيين المؤمنين بشرح صدورهم وبث روح الأمل بالمستقبل وتسريع الخطى الحثيثة نحوه.

ووصف" الميلي " أهمية "رسالة الشرك ومظاهره" في أنها :

>> رسالة تعد في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع، تقر بها عين السنة والسنيين ،و تنشرح لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين، من جهلة المسلمين ومن أحمرة المستعمرين الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدرا يخدرون بها عقول الجماهير، وإذا تخدرت العقول وأصبحت تروج الأوهام، وجدت الأجواء التي تروجها غلاة المستعمرين للأمم المصابة برؤساء دينيين أو دنيويين يغشون أممهم ويتاجرون فيها[1] <<.

فبعد أن استولت إدارة الاحتلال على المؤسسات الدينية واستحوذت على أموالها وحولت انفاقها على مشاريعها الاستعمارية، عملت على تضييق ممارسة الجزائريين لدينهم في ممارسات خاصة ولت سلطتها الروحية فيها إلى رجال دين صنعتهم تحت رعايتها وبتوجيهها. ثم عملت بطرق خفية وغير نزيهة على تمييع المعاني الاجتماعية للشعائر الإسلامية وإفراغ هذه من كل مضمون>> حتى أصبحت الممارسة الدينية على صعيد الجماهير طقسا مفرغا من أي مضمون، يسهم في تكريس الواقع ويعرقل كل محاولة جادة للنهوض به وتغييره [2]<<. ثم عادت إدارة الاحتلال لتروج ضمن حملات تشويهية

1: رسالة الشرك ومظاهره، ص 8

2: عبد الرحمن سلوادي، المرجع السابق، ص287

وتيئيسية لادعاءات باطلة تعيد أسباب تخلف المسلمين الجزائريين — وكل المسلمين- إلى الإسلام الحنيف، حتى أصبح معروفا ومسلما به عند الجميع بأن " الدين أفيون الشعوب".

وتأتي "رسالة الشرك ومظاهره" لتكشف خيوط الحقيقة، وتشرح معطيات الواقع، فتسلح المسلم عموما والمسلم الجزائري على وجه الخصوص نفسيا وعلميا وتكسبه حصانة العقل، ومناعة الحجة الصحيحة وتهيئ به القواعد العلمية السليمة لايدولوجيا التغيير الجاد والذي يبدأ بإصلاح النفوس الذي سيفضي إلى إصلاح الجبهة الداخلية والذي يفضي بدوره في النهاية إلى التحرر من كل أسباب الهيمنة الروحية والمادية. ومن ثمة فالتحرر من الطرقية الفاسدة هو نفسه الطريق الذي يؤدي إلى التحرر من قبضة الاحتلال الفرنسي وهذا ما أكده تقرير جمعية العلماء لرسالة "الشرك ومظاهره" حين قال بإنها:

>> رسالة تعد في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع، تقر بها عين السنة والسنيين ،و تنشرح لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين، من جهلة المسلمين ومن أحمرة المستعمرين الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدرا يخدرون بها عقول الجماهير، وإذا تخدرت العقول وأصبحت تروج الأوهام، وجدت الأجواء التي تروجها غلاة المستعمرين للأمم المصابة برؤساء دينيين أو دنيويين يغشون أممهم ويتاجرون فيها [1] <<.

ثانيا— مضامين رسالة الشرك ومظاهره وأهداف صاحبها منها:

للإطلاع على مضمون " رسالة الشرك ومظاهره" يجدر بنا نقل عناوين فصولها التي تتضمن مختلف مواضيعها :

1: رسالة الشرك ومظاهره، ص 8

1- الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره

2- الغرض من بيان الشرك ومظاهره

3- الرجوع في بيان الشرك إلى الكتاب والسنة

4- تنزيل الآيات النازلة في قوم على أشبه حالتهم اليوم

5- ذرائع الشرك وطبائعه

6- معنى الشرك وأقسامه

7- الشرك في قوم نوح ــس ــ

8- الشرك في قوم إبراهيم ــس ــ

9- الشرك عند العرب

10- العبادة والنسك

11- التبرك وسد الذرائع

12- آثار الشرك في المسلمين

13- الولاية

14- الكرامة

15- التصرف في الكون

16- علم الغيب

17- الكهانة وما حكمها

18- السحر

19- الرقية والعزيمة

20- التميمة

21- المحبة

22- الدعاء

23- الوسيلة

24- الشفاعة

25- الزيارات والمزارات

26- الذبائح والزردات

27- النذرة والغفارة

28- اليمين

29- هداة الشرك وحماته: قدم البدعة مصدرها التصوف- القطب، الإبدال، الخرقة، أصناف المحاربين للدعوة، القراءة على الموتى، الميثاق، الشيخ، الولي، يوم النظرة، الضمان ،استلاب الأموال.

30- إلى الدين الخالص، ابتداء الحرب على حكومة القطب.

31- قصيدة العقبي وتأثيرها على الأمة.

32- خاتمة الأمر المعروف والنهي عن المنكر [1]

من الواضح لقارئ عناوين فصول "رسالة الشرك ومظاهره "أن "الميلي"قد وضع في بحث موضوعه خطة علمية تؤكد ما ذهب إليه في أنه لم يحتذ فيما جمعه فيهاعلى منوال غيره من علماء العقيدة ومنهجيتهم في كتبهم ممن سبقوه أو ممن عاصرهم ويمكن أن نصف خطة"الميلي" في رسالته ب"الخطة الأكاديمية" حيث يمكن تصنيفها إلى ستة أبواب وهي:

- تعريف الشرك ,أهميته معرفته والغرض من بيانه

1: زسالة الشرك ومظاهره أنظر فهرس المواضيع، ص 298-299

– نماذج من مظاهر الشرك في الأقوام السابقة وإسقاطها على من يشبههم فيها من المعاصرين

– مظاهر الشرك وأنواعه

من يقف وراء نشر الشرك ويحميه قديما وحديثا

– ضرورة مقاومة الشرك ومظاهره

– خاتمة: قانون الاسلام الدائم لحفظ التوحيد ومقاومة الشرك:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تفيد معطيات هذا الفهرس غلبة مواضيع مظاهر الشرك كسلوكات يومية في حياة الجزائريين بأسمائها وأماكنها وكذا أسماء الداعين إليها، على موضوع "الشرك" كبحث عقدي بحت ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنها هذه هي رغبة المؤلف وكذا هدف جمعية العلماء، التي أقرت الرسالة باسمها. ذلك لأن الجمعية كانت تركز دوما على الجانب العلمي والتطبيقي من الدين الإسلامي حني تحيي عباداته وأخلاقه وجميع شعائره – الصحيحة– كسلوكات يومية يعيشها المسلمون ويتعاملون بها فيما بينهم، على ضوء معرفة أصولها من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.

يقول" مبارك الميلي " في وصف بحث رسالته: >> ولم احتذ فيما كتبت إلا ما تخيله فكري، ولم انسج فيما جمعت على منوال غيري إذ لم أقف على كتاب مجموع على النسق الذي أردته في الموضوع[1]<<. ويعني الكاتب بهذا أنه لم يواجه صعوبات من ناحية قلة المادة العلمية في هذا الموضوع، إذ أن دوره كان جمعها كما ذكر وهو ما كانت تتطلبه حاجة دعاة الإصلاح في ذلك الوقت وعملت على تحقيقه جمعية العلماء في هذا الميدان،

1: المصدر نفسه، ص 15

وإنما واجهته صعوبات في طريقة " ابتكار العناوين وتنسيقها " حتى تفي في النهاية كمجهود عملي جاد بالحاجة فلم يسبق مبارك الميلي أحد في القيام بهذا العمل في الجزائر، وهو ما جعله يقول >> أن هذه الرسالة في موضوع بور على أسلوب من عندي بكر[1]<<.

ويبدو أن "علي مراد" عندما تناول هذه النقطة قد أخذ على الميلي تأكيده سبقه في هذا الموضوع وحاول تفنيد هذا التأكيد بقوله: ويمكننا بسهولة تفنيد هذا التأكيد[2]<<. والحقيقة أن تأكيد الميلي في سبقه إلى هذا الموضوع ليس من ناحية المضمون وإنما فقط من حيث تأليف كتاب مستقل فيه وإتباع طريقة علمية في تصنيف المواضيع، ضمن منهج في تنسيق العناوين. فموضوع الشرك ومظاهره قد تناولته أقلام المصلحين الجزائريين بغض النظر عن علماء الإسلام عموما الأقدمين منهم والمحدثين ممن ظهروا في المشرق العربي أو في المغرب العربي والذين يعتبر فريق الشهاب تلميذا وفيا بما فيهم مبارك الميلي – بطبيعة الحال- منذ البدايات الأولى للصحافة الإصلاحية بالجزائر عموما كما رأينا، أي قبل ظهور صحافة علماء الجمعية أنفسهم وهو ما عضد به علي مراد تفنيده وإشارته أن موضوع محاربة النظام الطرقي بدأ منذ سنة 1925 م، ثم إن تأكيد تقرير الجمعية للرسالة أشار إلى أن دعاة الإصلاح كانوا في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع جامعة لأدلة هذه المسائل ناقلة للآيات أو الأحاديث في كل نقطة من النقط التي تتناولها الرسالة المقترحة المرغوب في تأليفها[3] <<. ومن ثمة فان "الميلي" لم يدع سبقه في الكتابة في هذا الموضوع وإنما على

1: المصدر نفسه، ص 15

2.: Ali Merad, Le Réformisme Musulman en Algerie, de 1925-1940,Essais d'Histoire Religieuse et Sociale ,Paris ,La Haye, 1972, p 267

3: رسالة الشرك ومظاهره، ص 7

العكس من ذلك فهو أكد عناءه في ترتيب مواده ومواضيعه الكثيرة المبثوثة عبر الصحافة — كما رأينا– ثم في تنسيقها وربطها بضمانها وأدلتها من الآيات والأحاديث وهو عمل يتطلب جهدا كبيرا خاصة إذا لم يجد صاحبه نموذجا ينسج على منواله، ومع ذلك فقد أثبت صاحب " الرسالة" فهرسا لمواردها وأشر إلى ذلك بعنوان: الغرض من بيان مواد الرسالة قائلا: وفيما يلي نثبت أسماء الكتب التي صرحنا بالنقل منها في صلب الرسالة إظهارا للصلة بين كلامنا وكلام الأقدمين[1] >>.

وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام[2] هي:

-كتب متن اللغة وفقها وأدبها: (10 مصادر)

-كتب التفسير وأحكام القرآن: (12 مصادر)

-كتب الحديث وفقهه ورجاله: (03 مصادر)

أما كتب التوحيد فقد ذكر" الميلي" في مقدمة رسالته أنه اتصل يبعضها بعدما حرّر عدة فصول من الرسالة ولذاك تأسف عن تأخرها لعدم استعانته بها في تحريرها لخلو مكتبته ومكتبات زملائه العلماء منها، إلا أنه بعد تمام التأليف وقبل الشروع في طبع الكتاب أهدي إليه كتاب " فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد" فاستعان به بفوائد ألحقها بمواضعها معزوة إليه[3]>>.

ثالثا–كيف نقرأ "رسالة الشرك ومظاهره " دعويا"؟

1: المصدر نفسه، ص 295

2: المصدر نفسه، ص 296-297

3: المصدر نفسه، ص 15

وعليه فتأكيد "الميلي " على جرد مظاهر الشرك بالاستدلال والتحليل إشارة منه إلى أن الجزائريين والمسلمين –عموما– إنما كانوا يتبعون الطرق الصوفية في مناسكها وشعائرها ظنا منهم أنها طرق للعبادة ووجوه للعقيدة، وخفي عنهم إنما هي بالذات صور للشرك لكونها بدع وعقائد فاسدة نشرها شيوخ الزوايا والطرق الصوفية وكرسوها بين أتباعهم فحلوا بها بينهم محل المشرع الواحد، والمبين المعصوم – صلى الله عليه وسلم– فبدل أن يعبد الله عبدوهم وبدل أن تنشر سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في كيفيات العبادة، عمت طرائق هؤلاء وأورادهم وأذكارهم، فوقع المسلمون في الشرك بدون علم. وقد أدى عامل الوقت من جهة بتكاثر أتباع هذه الطرق مع الزمن وطول مدة الجمود الفكري إلى تمكن هذه الطرق الصوفية من قلوب الناس وعقولهم وسطوها على أموالهم وذممهم، الشئ الذي وقف دون جهود علماء الدين المتوسمين بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في إبطال دعواتها وطرائقها، ودعوة الناس إلى الدين الصحيح وتعدى الأمر إلى إثارة الأتباع ضدهم مما أضاع حجتهم وأذهب برهانه أدراج الرياح

وقد كان "الميلي" بارعا في التمهيد لموضوعه الذي جعل منه حوارا عقليا منطقيا بين طرفين بين سائل ومجيب، ومع أن طرف السائل لا يظهر في حيثيات المضمون لكن يدل عليه عنوان كل موضوع على حده مما كان يستقيه من معطيات الحياة العقلية وفتئذ وتساؤلاتها في هذا المجال. ونرى "الميلي" لا يبخل بحجة أو آية أو حديث للإحاطة في إجابته منتقلا بين المواضيع باحثا جزئياتها بالتدريج مما يجعلنا نؤكد أن كل شيء في رسالة الشرك ومظاهره يدل على أن الرجل كان في مهمة رسمية تتطلب منه الدقة في العرض والحجة في الدعوى لكن بأسلوب بسيط يمكن وصفه أيضا بالمدرسي، فهدفه لم يمكن

لإبهار قرائه بقدر ما كان إحقاق الحق وبيان الباطل في كل مظاهره وهي مهمة جمعية العلماء بالذات.

ففي موضوع الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره[1] يقرر "الميلي" الطبيعة البشرية في طلب الحياة والإفراط فيها أحيانا وميل الإنسان إلى المادة والشرك وهو أكثر ما اعتنى به الكتاب والسنة دعوة وتحذيرا >> فأول ما كان المرسلون يدعون إليه أقوامهم هو التوحيد الخالص وأول ما ينكرونه عليهم هو الشرك ومظاهره[2] <<. وهم لا يكتفون بشرح التوحيد وإنما يخصون موضوع الشرك ومظاهره عناية وتفصيلا حتى يرسخ في نفوس العامة الحذر منه والابتعاد عن وسائله ولا يفقد المتأخر نص قبله في جزئية من ذلك، لكن الذي وقع بين المسلمين هو قلة خوضهم في موضوع الشرك ومظاهره مما جعل الشرك >> أخطر المعاصي معنى وإن كان أجلاها حكما مع الإقرار بأن المسلمين عامتهم يتبرأون منه ويغضبون كل الغضب إن هم نسبوا إليه[3] <<. وقد أدى جهل المسلمين وخفاء معنى الشرك عنهم أن وقع منهم من وقع فيه وهم لا يشعرون، ثم وجدوا من أدعياء العلم من يسمي لهم عقائد الشرك وأعماله بأسماء تدخل في عقائد الإسلام وأعماله ثم يدافع عنهم ويحشرهم في زمرة أهل السنة ويشنع على العلماء الناصحين المتأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم، عن خبرة وصدق[4]. ومما زاد خطر الشرك كما يقول "الميلي": >> هو اعتناء علماء الكلام به ببيان عقائد الإسلام وسلوكهم في التدليل عليها سبيل المنطق اليوناني ثم

1: رسالة الشرك ومظاهره، ص 18

2: نفسه، ص 19 بتصرف.

3: نفسه، ص 20 بتصرف.

4: نفسه، ص 21 بتصرف.

جمود المتأخرين على هذا الأسلوب فحادوا بذلك عن بيان القرآن ن الكريم للشرك ومظاهره فخفي على الناس ماهو الشرك أو ماهو السبب إليه. وأضاع شيوع التقليد وذيوع الجمود حجة العلماء وبرهانهم[1] <<.

ويختم "الميلي" هذا الموضوع بقوله، وياليتنا تركنا كتب المتكلمين للخاصة، يستعينون بها في مواطن الجدال مع الخصوم، ووضعنا للعامة كتبا في العقائد على أسلوب الكتاب المجيد فيكون من تلك رياضة للعقول وحماية للحق، ومن هذه طهارة للقلوب وهداية للخير، وليس كل الناس بحاجة إلى تلك الرياضة، ولا لهم قدرة على تلك الحماية، ولكن كلهم في حاجة إلى تطهير البواطن ومعرفة الهدى، فعمت الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره[2]<<.

و بهذا يقرر "الميلي" مهمته وهدفه المتوخي – والذي هو بالذات هدف جمعية العلماء – في تأليف كتاب- أو بالأحرى جمع ما كتب فيه وحوله في العقيدة ليس على طريقة المتكلمين وإنما على أسلوب القرآن الكريم يكون المقصود منه خاصة – العامة من المسلمين – الجماهير المسلمة الجزائرية، وهم الذين انتشر بينهم الشرك ومظاهره. ولما كان جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم في حاجة دائمة إلى تطهير البواطن ومعرفة الهدى فان كتاب "الميلي" هذا رسالة للجميع في هذا المجال. ونتبين من هذه المهمة العلمية الدينية أن انشغال جمعية العلماء كان منصبا دائما وأساسا على خدمة الجماهير بتوعيتها وتعليمها وتنبيها وتحذيرا من مخاطر الشرك ومن ثمة تحريرها من سلطان الطرقية وأباطيلها كخطوة أساسية لتحريرها من سيطرة الاحتلال.

1: نفسه، ص 21

.2: المصدر نفسه، ص 22-23

و في موضوع الغرض من بيان الشرك ومظاهره يقرر "الميلي" مايلي: >> إذا كان الاحتياج إلى معرفة الشرك شديدا كان تعريف الناس به أمرا لازما أكيدا، وإذا كان الباعث على هذا التعريف إقامة العقيدة فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار بل كلاهما غرض حسن وسنن لا يعدل عنه الساعون، وهذا ما حمل المصلحين المجددين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد وتخليصه من خيالات المشركين[1] <<.

و يضيف "الميلي " بكل صراحة مخصصا إشارته إلى تفنيد ما تروجه الطرقية ويدعيه بعض الجاهلين بالدين: >> وغرضنا من الخوض في حديث الشرك تحذير المسلمين منه لا الحكم عليهم به تعيينا. نحن بالعقيدة السلفية قائلون، ومانحن إلا وعاظ مرشدون، ولم ندع أننا حكام منفدون[2]..<<. ثم قال بأن الآيات القرآنية وآحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تفيد >> بأن مخاطبة المسلم باجتناب الشرك وأمره بالتوحيد ليس من الحكم عليه بالوثنية ولا التعريض باشتماله عليها[3]..<<. ومع ذلك >> فان نطق الجاهل بالشهادتين لا يمنع عنه وصف الشرك[4] << واستفاض الميلي في ذكر الأدلة والبراهين وانتهى إلى تقرير الغرض من بيان الشرك ومظاهره بالقول [5]: >> إن المسلمين قد عمهم الجهل وفشا بينهم الدجل وانتشرت فيهم البدع والمعاصي وكثفت غفلتهم عن بوادر الأخذ بالنواصي، وهذا ضروري لا يستطيع جحده المكابر العنيد. والمسؤول عن هذه الحال هم العلماء بكتمانهم

1: المصدر نفسه، ص 23

2: نفسه، ص 25

3: رسالة الشرك ومظاهره، ص 26

4: المصدر نفسه، ص 27

5: المصدر نفسه، ص 30

لعلمهم. ومن ثمة فان بيان العلماء لمسائل الشرك أداء للأمانة وقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم رجاء إصلاح حال المسلمين وأن لا يكونوا حجة على هذا الدين ولا سبة بأفواه المتمدنين <<.

و ينتقل "الميلي" بعد هذه التمهيدات التي رسّخ بها الحاجة الماسّة والمنطقية لمعرفة الشرك ومظاهره وضرورة الخوض في الحديث عنه إلى تأكيد أن أنجح وسيلة في تنبيه المسلمين إلى ذلك هو الرجوع في بيانه إلى القرآن والسنة وهو فعلا ما قام به في إيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشمل على الفصل فيه مؤكدا بأن هذه الآيات التي نزلت في الأقوام السابقة ملزمة لكل الأقوام الحاضرة التي تشبههم في مظاهر الشرك. ثم بين ذرائع الشرك وطبائعه، معناه وأقسامه متمثلا ببعض أبرز مظاهره في أقوام الأنبياء كقوم نوح وقوم إبراهيم – عليهما السلام – وكيفياته عند العرب لينتهي إلى خطورة آثاره على المسلمين عامة في الانحراف عن حقيقة الإسلام كما جاء به محمد– صلى الله عليه وسلم–.

ويخصص "الميلي " أكثر من مائتي صفحة للحديث عن مظاهر الشرك المختلفة كما يبينه فهرس رسالته بداية من "الولاية" وحتى الضمان ضمن عناوين فرعية لبيان المعنى وشرح الكيفيات وتقديم الأمثلة والنماذج بأسماء أصحابها و... الخ. مما يؤكد لنا المغزى الحقيقي من رسالته في محاربة البدع المتفشية في الواقع الجزائري وكشف أباطيل شيوخ الزوايا الذين يعرفهم المسلم الجزائري أو يسمع عنهم أو يتعامل معهم.

وقد كانت " رسالة الشرك ومظاهره " بناء على هذا الرأي، وبالإضافة إلى مختلف وجوه نشاط الجمعية في هذا الميدان، الصيحة المخيفة، والرجة العنيفة التي وجهها العلماء إلى شيوخ الزوايا، وأتباعهم وكذا إلى إدارة الاحتلال التي تستغلهم لمصالحها ضد مصالح الشعب الجزائري، والذين كانوا لها مطية لضرب أقدس ما عند الجزائريين، دينهم الإسلامي، ومن ثمة

يأتي منطقيا الفصل الختامي في كتاب الميلي: " حرية الوعظ والإرشاد[1] ". الذي وجه كلامه فيه إلى كل من يسعى ضد الجزائري من أن يتعلم دينه ولغته وشنع على العلماء عدم قيامهم بهذا الواجب لدى دائرة الاحتلال بقصد منعهم فقال: " ألا فليعلم هذا من سعوا في منع العلماء غير المتوظفين من الوعظ بالمساجد وليعلمه من سرهم ذلك المنع، وليعلمه المؤيدون للعملاء في الاحتجاج على ذلك المنع[2]<<. ثم ذكر بعناية السلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشجاعتهم في قول الحق دون أن يخافوا حاكما أو ظالما أو لائما، وعاتب علماء الخلف تقصيرهم في أداء هذا الواجب.

ومن جهة أخرى فان "رسالة الشرك ومظاهره" تعد الحجة العلمية والدليل الواقعي على تفنيد مزاعم الاستعمار العالمي الذي يستغل جهل الأمم في الإمعان في تحذيرها ليضمن استبعاده لها، ثم الرد على الاحتلال الفرنسي في الجزائر – بالذات– الذي عرف كيف يستغل رجل الدين – من الأئمة الرسميين وشيوخ الطرق الصوفية ورؤساء الزوايا– << في سبيل تحويله إلى أداة تهيئ الغطاء الأيديولوجي لعمليات الظلم والاقتتات على كرامة الإنسان، وحقه في الحياة والحرية وتقرير المصير[3] <<.

رابعا–كيف نقرأ " رسالة الشرك ومظاهره"إعلاميا؟

–" رسالة الشرك ومظاهره "مجهود علمي فريد جزائريا

لما نشرت "رسالة الشرك ومظاهره " في الكتاب المطبوع سنة1356 للهجرة, الموافق لسنة 1937 م تحلى الكتاب بصورة المؤلف وعليها من صاحبها هذه الأبيات :

إلى الشعب أهدي صورتي ورسالتي كذكرى للإخلاص له وجهادي

1: محمد مبارك الميلي رسالة الشرك ومظاهره، ص 291

3: عبد الرحمن سلوادي، المرجع السابق، ص287

وأسدي له في العالمين نصيحة أريد رضى ربي بها وبلادي

وإن قبل الشعب الكريم هديتي ونصحي فقد أدركت كل مرادي

وقد كتبب شاعر الإصلاح أو حسان الدعوة الإصلاحية كما لقب الشاعر"محمد العيد آل خليفة "قصيدة في" رسالة الشرك ومظاهره" ومؤلفها الشيخ " محمد مبارك الميلي " وقد جاءت في29 بيتا ونشرتها صحافة العلماء وقتها وجاء فيها

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية ورش)

1--أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ,سنن أبي داود, تعليق , الشيخ أحمد سعد علي , مصر , مطبعة مصطفى البابي , 1052,ج 2 ,دط.

2--محمد مبارك الميلي ,رسالة الشرك ومظاهره , الجزائر ,مكتبة النهضة الجزائرية ,1966,ط2.

3- سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي ,الجزائر ,دار الكتب , دت ,دط.

4- عبد الرحمن سلوادي , عبد الحميد بن باديس مفسرا,الجزائر , المؤسسة الوطنية للكتاب ,1981.

5- ديوان محمد العيد آل خليفة , شعراء الجزائر, الجزائر , المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ,1979.

6- مفيدة بلهامل ,وسائل الاتصال الجماهيري عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين, رسالة ماجستير غير منشورة ,قسم الدعوة والاعلام والاتصال , جامعة الأمير عبد القادر ,1997.

7-عبد الحميد بن باديس ,مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ,الجزائر , مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ,1982

8- عبد الحميد بن باديس , مجالس التذكير من كلام البشير النذير , الجزائر , مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ,1983-

-9Ali Merad,Le Reformisme Musulman en Algerie ,de 1925-1940,Essais d'Histoire Religieuse et Sociale ,Paris ,La Haye, 1972